المحاضرة الحادية عشر

الفن القصصي الأعلام والاتجاهات

تمهيد : ظلّ الكتاب العرب في مصر وبلاد الشام والعراق منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وحتى أوائل القرن العشرين يتخبطون بين الأشكال القصصية المختلفة دون أن يهتدوا إلى شكل فني يرضون عنه، ويبدو أنهم ضاقوا بهذه المحاولات التقليدية التي يقلدون فيها القصص المترجمة أو المقامة أو القصص الموضوعة وأرادوا أن يشكلوا فنا قصصيا يعبرون فيه عن بيئتهم وأصالتهم وواقعهم الذي يعيشونه، بدلا من استخدامهم الأسماء الأجنبية والبيئات الأوربية مسرحا لأعمالهم القصصية، لاسيما أنهم ترجموا آلاف القصص دون أن تعبّر عن واقعهم الحقيقي.

1.1 أوليات الرؤية الفنية : كل هذه العوامل جعلت الكتاب يتطلعون إلى فن قصصي يعبر عن واقعهم، ولا يجتر الماضي أو البيئة العربية يقول عيسى عبيد: « ناديت يوجوب استبدال أدبنا الوجداني الخيالي بأدب جديد مبني على الحقائق المجردة المستخرجة في حياتنا اليومية[1] وقد نادى جيل الرواد في مصر بضرورة ترك الخيال وتصوير الحقيقة الواقعية كما هي كائنة في الواقع، وذلك من أجل تجنب التقليد الأعمى للأدب العربي القديم أو للأدب الأوربي يقول عيسى عبيد في مقدمة مجموعته إحسان هانم : « فواجبنا نحن الكتاب أن نغطي أدبنا العصري صفة حية ملونة خاصة به ويعرف بها، ولذلك يجب أن نجتهد ونتحرر من تأثير الأدب الغربي بألا نتخذ من الروايات الأجنبية قاعدة لرواياتنا، التي يجب أن تشاد على أساس الملاحظة الصادقة المستخرجة من أعماق حياتنا اليومية »[2]

---

① - عيسى عبيد : نفسية الكاتب المصري، السفور عدد 294 أفريل سنة 1922

② - عيسى عبيد : مقدمة إحسان هانم الدار القومية للنشر والتوزيع القاهرة 1964

ويتفق مع عيسى عبيد في رؤيته كل من: محمد تيمور ومحمود تيمور / وشحاته عبيد ومحمود طاهر لاشين، من أجل تصوير الحقيقة الواقعية في قصصهم.

2/ اتجاهات الفن القصصي: إن الرؤية الفنية التي نادى بها رواد القصة في مصر، قد لقيت رواجا مع جيل الرواد في بلاد الشام فقد اقترنت قصص هؤلاء الكتاب ببيئتهم المحلية مثل مشكلات الريفي في القرية اللبنانية نموذج ذلك ميخائيل نعيمة الذي مكنه اطلاعه على الأدب الروسي ككتابات دستويفسكي و مكسيم جوركي وأنطوان تشيخوف وغيرهم حينما كان طالبا في روسيا من اتقان فن القص ومعرفة أبعاده وسماته، وكيفية الاقتراب من تصوير الواقع، وهذا ما ظهر جليا في أول قصة كتبها بعنوان "سنتها الجديدة" ويقترب معه في هذه الرؤية أيضا الكاتب توفيق يوسف عواد*.

وقد استطاعت القصة القصيرة في مصر والشام، أن تخطو خطوات متقدمة عن القصة الموضوعة والمترجمة، وأهم هذه الخطوات

- التخلص من الإسراف الخيالي في التصوير
- الاقتراب بالقصة من الواقع المعيش
- التعبير الفني الصادق عن المشكلات الحياتية التي يعيشها الناس
- العمل على وحدة القصة حيث تكون نسيجا متكاملا
- الاعتماد على لحظة التنوير وهي اللحظة النهائية في القصة

ملاحظة: إن نشأة القصة القصيرة الفنية تختلف من مجتمع لآخر وفقا لتطور الفن القصصي في مجتمع ما من المجتمعات، فقد نشأت القصة القصيرة الفنية في مصر وبلاد الشام في أوائل القرن العشرين ثم ظهرت لاحقا بعد ذلك في بلاد الخليج العربي وشمال إفريقيا

3/ أعلام الفن القصصي: إن المحولات الفنية الأولى للقصة القصيرة ظهرت عند عدد من الكتاب في مصر وبلاد الشام و أهم هؤلاء،

* توفيق يوسف عواد 1911 1989 أديب وقاص لبناني نالت أعماله القصصية والروائية شهرة كبيرة نذكر منها: الصبي الأعرج - قميص الصوف كتاب الرغيف - العذارى - حواريات السالح والترجمان - غبار الأيام

محمد تيمور وميخائيل نعيمة وشحاتة عبيد ومحمود طاهر لاشين ومحمود تيمور وتوفيق يوسف عواد ومحمود سيف الدين الإيراني وشكيب الجابري.

كما ظهرت هذه المحاولات، في أوائل النصف الثاني من القرن العشرين في بلاد الخليج العربي، وبلاد المغرب العربي، ففي السعودية ظهرت القصة القصيرة الفنية عند ابراهيم هاشم فلالي* في مجموعته "مع الشيطان" سنة 1952 وحسن عبد الله القرشي** في "غروب أمل" سنة 1954 وأنات الساقية سنة 1956 وسعد اليواري في شيخ من فلسطين.

وفي قطر نجد أولى المحاولات القصصية الفنية عند ابراهيم صقر المريخي في قصة "الحنين" سنة 1973 وعبد الله الحسيني في "عجوز في عاصفة" سنة 1973 وزهرة يوسف الملكي في "دمعة سقطت"(1). وفي الكويت ظهرت المحاولات الفنية للقصة القصيرة عند محمد الفايز بين عامي 1963 - 1969 أربعا وثلاثين قصة في مجلتي الرسالة والكويت وحسن يعقوبي في مجموعته "هدية" سنة 1973، وفي البحرين يجد هذه البدايات عند خلف أحمد خلف في "وجهان وقلب مذعور" ضمن مجموعته القصصية "سيرة الجوع والصمت" واسماعيل فهد في "البقعة الداكنة" أما في الجزائر فقد ظهرت المحاولات الفنية الأولى عند كل من السعيد الزاهري في قصة عائشة عام 1928، ويرى الدكتور صالح خرفي أن محمد بن العابد الجلالي هو الرائد الأول للقصة الجزائرية وذلك بنشره سبع قصص في جريدة الشهاب من سنة 1935 الى 1939 وهي كالتالي: في القطار والسعادة البتراء والصائد في الفخ وأعني الهدم أعنك على البناء وتفوز وبعد الملاقاة، كما نجد العديد من الأدباء الذين كتبوا في هذه المرحلة من أمثال: أحمد رضا حوحو والذي يعد رائد القصة القصيرة ونبوغ الريادة لمدة عشر سنوات (1946-1956) ومن أهم قصصه: مع عمار الحكيم وعائشة والفقراء وعادة أم القرى وغيرها، وجاء بعد كل من عبد الحميد بن

---

* إبراهيم هاشم فلالي (1906 - 1974) أديب وقاص سعودي عمل بالتدريس وأشرف على طلاب البعثات العلمية من مؤلفاته مجموعة قصصية مع الشيطان وكذلك مجموعة دواوين شعرية.

** حسن عبد الله القرشي (1934 - 2004) شاعر وكاتب سعودي منح الدكتوراه الفخرية من جامعة أريزونا الأمريكية

(1) ينظر محمد كاظم: الأدب القطري الحديث ص 128 - 136.